عام ١٩١٧ ـ في مذكراته ، تصور ، وعلى لسان مارك سايكس ، التكتيك البريطاني بشكل دقيق ، حين يقول :

« ٠٠ ان السير مارك سايكس كان يبشر بضرورة خلق الاوهام في اذهان العرب عن طريق وعدهم بالاستقلال لضمان ولائهم واستمرار مساهمتهم السياسية والعسكرية في الحرب ٠٠٠ في الوقت الحاضر ، علينا واجب واحد ، وهو ان نقهر الالمان حيثما وجدوا وسيتسع لنا الوقت فيما بعد لاقتسام الاراضي بعد الحرب ٠ » (٣٧)

والغريب ان الكاتب الفلسطيني نجيب صدقه ، الذي حاول حشد عشرات الفقرات، المنسوبة الى المسؤولين البريطانيين ، والمعبرة عن خططهم للاستيلاء على فلسطين ، في كتابه « قضية فلسطين » ، يقع سريعا في الشرك عندما يناقش وعد بلفور الذي اعتبره ٠٠ « دليلا صارخا على قوة المنظمات الصهيونية ومدى نفوذها وضغطها على السياسة البريطانية » ٠ (٣٨)

وفي رصد النشاط البريطاني الذي سبق وعد بلفور ، بالتنسيق مع فرنسا(اتفاقية سايكس- بيكو) ، تظهر الخطة البريطانية في استثمار الحركة الصهيونية ، ليس فقط كاداة لاستعمار فلسطين ، وانما لاستثمارها ايضا ، في عمل رجعي استعماري على النطاق الدولي ، يستهدف تعطيل الدور الثوري للبروليتاريا اليهودية ، ولاجل ذلك ارسل العميل البريطاني غولدبرج الى روسيا ، وطلبت الحكومة البريطانية من الزعيم الصهيوني سوكولوف ان يعود ايضا ، بهدف تعطيل اسهام الجماهير البروليتارية (اليهودية) في الحركة الثورية لعموم روسيا ، وخاصة في الحزب البلشفي ، ابان عهد حكومة كيرنسكي ٠

وفي ٢٤ نيسان ١٩١٧ ، بعث مكتب العلاقات الخارجية البريطانية رسالة من لندن الى السفير البريطاني بوكانان في بتروغراد ورد فيها :

« ثمة نصائح تقول لنا ان افضل وسيلة للرد على الدعاية اليهودية السلمية والاشتراكية في روسيا هو ان نتقدم بتشجيع محدد للاماني القومية اليهودية في فلسطين٠ مسالة الصهيونية مليئة بالتعقيدات ، ولكن ساكون شاكرا لو علمت رايكم عما اذا كان اصدار اعلان من الحلفاء يعطف على الاماني القومية اليهودية سيساعد فيما يتعلق بالحالة الداخلية والخارجية في روسيا » ٠ (٣٩)

وفي ٢٣ حزيران ١٩١٧ ، اصدر رونالد غراهام احد اعيان مكتب الشؤون الخارجية البريطانية مذكرة قال فيها :

« يجب علينا تامين كافة الفوائد السياسية التي يمكن احرازها من علاقتنا بالصهيونية ولا شك ان هذه الفوائد ستكون ضخمة وخاصة في روسيا حيث الطريقة الوحيدة للوصول الى البروليتاريين اليهود هي من خلال الصهيونية » ٠ (٤٠)

وخلال تأدية هذا الدور الرجعي في روسيا ، لم تتوقف الحركة الصهيونية عن ممارسة نشاطها تجاه استعمار فلسطين ٠ ففي ١٧ شباط ١٩١٧ ، عقد مؤتمر رسمي بين مارك سايكس وخمسة من زعماء الحركة الصهيونية كمؤشر « لاعتراف بريطانيا بالحركة الصهيونية » (٤١) وفي ١٧ اذار ١٩١٧ ، واثناء زيارة وايزمن لوزارة الخارجية البريطانية ابدى اللورد بلفور « تخوفه من الاخبار التي بلغته عن عقد معاهدة سرية بين الحلفاء تعطى فرنسابموجبها قطعة من الجليل مع مدينة طبريا ، وطلب ان توضع